مقالات
ISSN: 2090 – 0449 Online
ARCIF Arab Citation and Impact Factor, [Q3].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.73].

الذاكرة الوطنية وبناء الهوية المغربية من خلال حدثي المسيرة الخضراء (١٩٧٥م) ووثيقة المطالبة بالاستقلال (١١ يناير ١٩٤٤) قراءة في المضامين التاريخية بالتعليم المدرسي والجامعي

د. لحسن الصديق

أستاذ بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين

جهة بني ملال خنيفرة

المملكة المغربية

مُلَخّص

تتشكل الذاكرة من مجموع الأحداث التاريخية المشتركة بين مكونات أي مجتمع باعتبارها تشكل ماضيًا مشتركًا تمت مواجهته كتحدي للجميع. فهي تتضمن مجمل الأحداث التي تحظى باهتمام الرأي العام في أي بلد محدد نظرًا لكونها تخاطب المشاعر المشتركة لمختلف الفئات والإثنيات المكونة لذات المجتمع. تتراكم هذه المشاعر والتوجهات العامة من خلال الشعور الجمعي الذي يتولد عنها نتيجة الفرح المشترك أو المعاناة المشتركة اللذان تقاسمهما الأفراد المكونون للمجتمع، وهي المشاعر التي تنتج تحديًا لدى الجميع لمواجهة الصعاب من خلال مختلف أشكال التضامن والتعاون فيتم تجاوز التحديات والصعاب. سنحاول في هذه الدراسة مقاربة موضوعي ذكرى تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال وذكرى تنظيم المسيرة الخضراء باعتبارهما حدثين وطنيين كان لهما حضورهما القوي في رسم وتحديد معالم الهوية الوطنية المغربية المجسدة لسعي المغاربة وتضحياتهم في سبيل الحرية والكرامة ورفض الخضوع للأجنبي المحتل من جهة، ومن جهة أخرى باعتبارهما حدثين يجسدان الوحدة والتضامن وعدم القابلية للتجزئة بين مكونات الهوية المغربية الواحدة والمتعددة الروافد. فقد رفضت النخبة المثقفة المغربية بمختلف فئاتها الاجتماعية الخضوع للاستعمار الفرنسي الغاشم وعبرت عن هذا الرفض من خلال أشكال مختلفة من خلال المقاومة المسلحة ومن خلال النضال السياسي بتنسيق مع العرش العلوي عبر المرافعة في المنتديات الدولية والصحافة الدولية والمظاهرات الشعبية المناهضة للوجود الأجنبي على الأراضي المغربية. فماهي السياقات التي جاءت ضمنها وثيقة المطالبة بالاستقلال؟ وما دوافع تنظيم المسيرة الخضراء سنة ١٩٧٥م؟ وكيف ساهم الحدثان في تشكيل الذاكرة الوطنية المغربية؟ وكيف عملت مؤسسات بناء الهوية على استحضار الحدثين في نقل مضامينهما للأجيال وتوعيتها بتضحيات المغاربة من أجل الاستقلال ومغادرة القوى الإسبانية للأقاليم المغربية الجنوبية؟

بيانات المقال:

تاريخ استلام المقال: ١٩ سبتمبر ٢٠٢٣

تاريخ قبول النشر: ٠٤ نوفمبر ٢٠٢٣

كلمات مفتاحية:

الذاكرة؛ الهوية؛ المدرسة؛ الجامعة؛ تاريخ المغرب المعاصر

معرِّف الوثيقة الرقمي: 10.21608/KAN.2023.237584

الاستشهاد المرجعي بالمقال:

لحسن الصديق. "الذاكرة الوطنية وبناء الهوية المغربية من خلال حدثي المسيرة الخضراء (١٩٧٥م) ووثيقة المطالبة بالاستقلال (١١ يناير ١٩٤٤): قراءة في المضامين التاريخية بالتعليم المدرسي والجامعي".- دورية كان التاريخية.- السنة السادسة عشرة- العدد الثاني والستون؛ ديسمبر ٢٠٢٣. ص ١٧٩- ١٨٨.

Corresponding author: esseddyq@yahoo.fr

Twitter: http://twitter.com/kanhistorique
Facebook Page: https://www.facebook.com/historicalkan
Facebook Group: https://www.facebook.com/groups/kanhistorique
Editor In Chief: mr.ashraf.salih@gmail.com
Egyptian Knowledge Bank: https://kan.journals.ekb.eg

This article is distributed under the terms of the Creative Commons Attribution 4.0 International License (https://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0), which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided you give appropriate credit to the original author(s) and the source, provide a link to the Creative Commons license, and indicate if changes were made.

نُشر هذا المقال في دَّورِيةُ كَان التَّارِيخية للأغراض العلمية والبحثية فقط، وغير مسموح بإعادة النسخ والنشر والتوزيع لأغراض تجارية أو ربحية.

مُقدِّمَةٌ

تتشكل الذاكرة من مجموع الأحداث التاريخية المشتركة بين مكونات أي مجتمع باعتبارها تشكل ماضيًا مشتركًا تمت مواجهته كتحدي للجميع. فهي تتضمن مجمل الأحداث التي تحظى باهتمام الرأي العام في أي بلد محدد نظرًا لكونها تخاطب المشاعر المشتركة لمختلف الفئات والإثنيات المكونة لذات المجتمع. تتراكم هذه المشاعر والتوجهات العامة من خلال الشعور الجمعي الذي يتولد عنها نتيجة الفرح المشترك أو المعاناة المشتركة اللذان يتقاسمهما الأفراد المكونون للمجتمع، وهي المشاعر التي تنتج تحديًا لدى الجميع لمواجهة الصعاب من خلال مختلف أشكال التضامن والتعاون فيتم تجاوز التحديات والصعاب، وقد يقتضي هذا التجاوز تقديم تضحيات كبيرة أو صغيرة، لكنها مهمة في تشكيل الهوية الجماعية للمجتمع.

تأتي الأحداث التاريخية في مقدمة العوامل التي تساهم بشكل كبير في تشكيل الهوية الجماعية للأفراد. وليس كل حدث تاريخي قادرًا على التأثير على الذاكرة الجماعية. فالأحداث التي لها علاقة مباشرة مع الذاكرة الجماعية للشعوب والجماعات هي الأحداث المرتبطة بالمصير الجماعي بما تقتضيه من مواجهة تحديات داخلية أو خارجية تهدد استقرار البلد أو كيانه في وجوده. وبناءً على ما سبق فإن الأحداث من هذا النوع تشكل الهوية الجماعية من خلال مساهمتها في تظافر جهود الجميع لمواجهة عدو مشترك، وهي ضرورية للمحافظة على مستوى من التعبئة والتأهب لكل ما يمكن أن يجدد تهديد الكيان الجماعي.

ونظرًا لأهمية الأحداث المؤسسة للهوية وجب الاعتبار بها من خلال توعية الأجيال الجديدة التي لم تعش الأحداث وتعريفها بتاريخها وذاكرتها المشتركة اعتمادًا على وسائل التنشئة الاجتماعية التي تعمل على نقل معارف وقيم وخبرات الراشدين إلى الأفراد الجدد في المجتمع. وتأتي مؤسسات حفظ الذاكرة (مؤسسات حفظ الأرشيف، المؤسسات التعليمية، المؤسسات الإعلامية، المؤسسات الثقافية...) في مقدمة الوسائل التي يمكن الرهان عليها للقيام بهذه الوظيفة.

سنحاول في هذه الدراسة مقاربة موضوعي ذكرى تقديم وثيقة المطالبة بالاستقلال وذكرى تنظيم المسيرة الخضراء باعتبارهما حدثين وطنيين كان لهما حضورهما القوي في رسم وتحديد معالم الهوية الوطنية المغربية المجسدة لسعي المغاربة وتضحياتهم في سبيل الحرية والكرامة ورفض الخضوع للأجنبي المحتل من جهة، ومن جهة أخرى باعتبارهما حدثين يجسدان الوحدة والتضامن وعدم القابلية للتجزئة بين مكونات الهوية المغربية الواحدة والمتعددة الروافد. فقد رفضت النخبة المثقفة المغربية بمختلف فئاتها الاجتماعية الخضوع للاستعمار الفرنسي الغاشم وعبرت عن هذا الرفض من خلال أشكال مختلفة من خلال المقاومة المسلحة ومن خلال النضال السياسي بتنسيق مع العرش العلوي عبر المرافعة في المنتديات الدولية والصحافة الدولية والمظاهرات الشعبية المناهضة للوجود الأجنبي على الأراضي المغربية. فماهي السياقات التي جاءت ضمنها وثيقة المطالبة بالاستقلال؟ وما دوافع تنظيم المسيرة الخضراء سنة ١٩٧٥م؟ وكيف ساهم الحدثان في تشكيل الذاكرة الوطنية المغربية؟ وكيف عملت مؤسسات بناء الهوية على استحضار الحدثين في نقل مضامينهما للأجيال وتوعيتها بتضحيات المغاربة من أجل الاستقلال ومغادرة القوى الإسبانية للأقاليم المغربية الجنوبية؟

أولاً: السياق العام لحدثي المسيرة الخضراء ووثيقة المطالبة بالاستقلال

لقد تميز الوضع بالمغرب خلال النصف الأخير من القرن العشرين مثل باقي دول العالم الثالث بنوع من الضعف نتيجة الفوارق العلمية والتقنية بينه وبين الدول الإمبريالية المجاورة له بأوروبا والتي استفادت من الثورة العلمية والتقنية فحققت تفوقًا عسكريًا واقتصاديًا جعلها تبحث عن أسواق خارجية لتصريف منتجاتها التجارية والحصول على المواد الخام بأثمنة منخفضة. وقد كانت حرب تطوان التي انهزم فيها الجيش المغربي تلك القشة التي كشفت عن الضعف والتراجع الذي لحقه بعدما كانت الدول الأوروبية تهابه خلال الفترات السابقة. وكانت هذه الهزيمة فرصة للدول الأوروبية

لفرض غرامات عليه عملت على استنزاف قدراته المالية وفرض ضغوط جبائية كبيرة على القبائل أربكت الصف الداخلي للمخزن.

إن ظروفًا مثل هذه ستؤدي حتما إلى فرض الحماية على المغرب من طرف فرنسا بعد عملية اتفاق وتسوية بينها وبين القوى الإمبريالية الأخرى التي فرضت حمايتها على بلدان أخرى بناء على نفس عملية الاتفاق. لذلك يمكن القول إن الاستعمار الفرنسي للمغرب كان حتمية لابد منها في سياق إقليمي تميز بسعي الإمبريالية الى الهيمنة على دول العالم الثالث. وقد كشف أرشيف مديرية الوثائق الملكية عن عملية تدبير هذا الوضع الجديد من طرف المخزن المغربي من خلال تتبع دائم للوضع عبرت عنه المراسلات بين السلطان أو حاجبه مع المكلف بالشؤون البرانية المقيم بالمنطقة الدولية بطنجة. تبين من خلال هذه الوثائق أن المغرب تعامل مع الوضع الجديد من خلال نوع من الدبلوماسية لم تسمح لفرنسا بالاستفراد بالشأن المغربي، بل تم التعامل مع قناصل كل الدول الأوروبية بما يعكس السيادة المغربية على أراضيها رغم محاولات الفرنسيين بالاستفراد بالوضع. وقد مكن هذا التعامل الدبلوماسي للمخزن المغربي مع القوى الأجنبية حول الموضوع من انتزاع اعتراف هذه الدول بالسيادة المغربية والدفاع عنها في المنتديات الدولية في مقابل حفظ مصالحها التجارية على الأراضي المغربية كقوى منافسة لفرنسا.

وقد عبرت النخبة المغربية الموقعة على وثيقة الاستقلال عن وعيها بهذا الوضع من خلال دعوتها الصريحة في وثيقة المطالبة بالاستقلال للدول الموافقة على حلف الأطلسي إلى المشاركة في مؤتمر الصلح. كما عبرت عن وعيها بضرورة التطور ومسايرة التغيرات التي يعرفها العالم من خلال دعوتها إلى ميثاق اجتماعي يحفظ حقوق وواجبات مختلف فئات المجتمع المغربي وهو ما يظهر من دعوة وثيقة المطالبة بالاستقلال إلى إحداث نظام سياسي حديث يضمن حقوق مختلف طبقات المجتمع المغربي ويحدد واجبات الجميع.

كما عملت المقاومة الوطنية والحركة الوطنية على لعب دور مهم في دفع الفرنسيين لقبول المطالبة المغربية بالاستقلال التي تقدم بها الموقعون على الوثيقة من خلال العمليات الفدائية والمقاطعة التي ينظمونها ضد الفرنسيين. ويمكن تفسير هذا الوعي المبكر لدى النخبة المغربية ورفضها للاستعمار الأجنبي إلى الخبرة التي راكمتها الدولة المغربية عبر قرون من الزمن ووجود تنظيم قوي ومنتشر في مختلف المناطق المغربية يعمل على تنسيق الجهود بين الحركة الوطنية ومختلف فئات الشعب المغربي. فلم يدم الاستعمار الفرنسي لمدة طويلة مقارنة بدول المحيط نظرًا لتشكل هوية مغربية متجذرة في التاريخ تمتد إلى فترة الأدارسة. كما كانت وثيقة المطالبة بالاستقلال تعبيرًا عن وعي مبكر لدى النخبة المغربية بتنسيق مع العرش العلوي بضرورة الحفاظ على الهوية المغربية متميزة.

وقد كانت المسيرة الخضراء هي بمثابة استكمال لمسار بدأته النخبة المغربية والعرش العلوي بضرورة استكمال الوحدة المغربية ورفض لأهواء القوى الإمبريالية التي عملت على تقسيم المجال المغربي إلى مجال تابع للإسبان ومجال خاضع للفرنسيين. لم يشعر المغاربة بعد مغادرة الفرنسيين للتراب المغربي بتحقيق الاستقلال التام نظرا للذاكرة الجماعية التي تشكلت من قبل والتي تعتبر أن الذات المغربية واحدة من شمال البلاد إلى جنوبها. وقد كان الوجود الإسباني بالأراضي الجنوبية المغربية بعد سنة 1956م موضوعًا مؤرقًا للذات الجماعية المغربية التي لم يهدأ لها بال حتى انجلى آخر جندي إسباني من هذه الأراضي بعد وصول المغاربة المطالبين بخروجه في مسيرة سلمية شارك فيها كل القبائل المغربية العربية والأمازيغية والريفية.

تتمثل أهمية الذاكرة الجماعية في حفظها لهذا الماضي المشترك بكل ما يتضمنه من أحداث وذكريات الحزن والفرح. فكما حزن المغاربة بدخول الأجانب للبلاد ابتداءً من سنة 1906م بعدما حطت السفن الفرنسية بميناء الدار البيضاء، فقد تقاسموا من جديد شعور الفرح بمشاركتهم الجماعية في طرد الإسبان من الأقاليم المغربية بالجنوب. وبذلك يمكن القول إن الذاكرة تساعد على استقراء واستخلاص الدروس والعبر من أحداث الماضي من أجل الاستفادة منها للمستقبل. كما تبرز أهميتها أيضًا في كونها من دواعي الإحساس بأهمية التعاون وتكاثف الجهود لمواجهات التحديات.

ثانيًا: الذاكرة والتاريخ أية علاقة؟

إن العلاقة بين التاريخ والذاكرة تتميز بنوع من الامتداد والتمفصل لأن "المسار الابستمولوجي للاشتغال على التأريخ يمر من مرحلة الشهادة والمحفوظات إلى مرحلة استعمال التعبير "لأن" في كل صور التفسير والفهم، وينتهي على مستوى الكتابة إلى التمثيل التاريخي للماضي"[١] فكل موضوع للكتابة التاريخية يستند إلى شهادات أشخاص وفاعلين عاشوا الحدث أو عاصروه فكان موضوعا أساسيا اشتغلت عليه ذاكرتهم فحفظته لجيلهم. إن الضمانة الأساسية لاستمرار موضوعات الذاكرة عبر الأجيال هو الانتقال من التداول الشفهي لموضوعاتها إلى الكتابة التاريخية التي تساهم في حفظها ونقلها للأجيال خاصة حينما نعلم أن "تمثيل الماضي معرض لتهديدات النسيان"[٢]. وتجد هذه التهديدات بالنسيان الذي يعتري الذاكرة سنده في ربط العديد من المفكرين لموضوعها بالخيال والحفظ الغيبي للنصوص. فقد صنفها ميشيل مونتاني "مقاطعة تابعة للخيال الذي كان قد عومل ومن زمان بعيد بكثير من الشبهة"[٣] فالخيال الذي تشكل الذاكرة مقاطعة منه بتعبير مونتاني لا يستند للواقع في شيء وهو الأمر الذي يجعله مخالفا للحقيقة وبذلك ألصقت بالذاكرة على المستوى النظرية العديد من النواقص. يضيف الفيلسوف الفرنسي المؤسس للحداثة والفكر الحداثي نعتا آخر للذاكرة قائلاً "وما كانت الذاكرة التي تعد طريقة تربوية باعتبارها مجرد الحفظ غيبًا للنصوص التقليدية، تحظى بسمعة سيئة"[٤]. وقد انتبه بيير نورا إلى التهديد الذي تشكله الحداثة بالنسبة لمفهومي التاريخ والذاكرة أو (التاريخ-الذاكرة) والتي تتجلى في التحديات التي أضحت التقنيات الحديثة تشكلها بالنسبة للذاكرة الجماعية للمجتمعات الزراعية التقليدية منبها إلى "إزالة ما تبقى من المعيش اليومي والذي يحمل نكهة الأعراف والتقاليد في مواجهة ما ينعت بالحديث (الحداثة)"[٥]، فالتقنيات الزراعية الجديدة جعلت الإنسان يتخلى تدريجيًا عن خبراته وتقاليده الزراعية التي تشكل جزءا من تاريخه.

كما تحضر الارتباط بين التاريخ والذاكرة في تعريف كل من أرسطو وأفلاطون للذاكرة. فإذا كان أرسطو يعتبر أن "الذاكرة من الزمان"[٦]، بمعنى أن الزمان أشمل وأوسع من الذاكرة باعتباره يتضمن ما تم تذكره وما تم نسيانه أيضا، فإن أفلاطون يرى أن "الذاكرة هي حضور للغائب"[٧] لأن الفاعل في التاريخ ينتهي وجوده الواقعي بموته فيصبح غائبًا في حين تبقى أفعاله وأقواله ومواقفه خالدة في الذاكرة تأبى النسيان وترتبط الذاكرة بالتاريخ حينما تدون وتكتب.

بناءً على المعطيات السابقة فإن الذاكرة التاريخية تثير مفارقات تخص هذا الموضوع تتمثل فكرته الأساسية في ظل وجود اختلاف جوهري يرتبط بقصديتين: إحداهما وهي قصدية الخيال تتجه نحو الوهمي، القصصي، غير الحقيقي وغير الواقعي والممكن واليوتوبي والأخرى وهي قصدية الذاكرة تتجه نحو الحقيقة السابقة، الواقع السابق. وتشكل السبقية السمة الزمنية بامتياز للشيء المتذكر، وللمتذكر (بكسر الكاف) بوصفه كذلك."[٨]

ثالثًا: في الحاجة إلى ذاكرة منظمة وقوية

اعتبر بول ريكور أن الذاكرة يتم بناؤها من خلال عمليتين أساسيتين تتجليان في عملية التشكيل وعملية إعادة التشكيل. ففي العملية الأولى تتم من خلال الإجراءات السردية التي تتم داخل النص من خلال عملية وحبكة ترتيب الروايات. أو بمعنى آخر، من خلال عملية اشتغال على الروايات المسجلة من طرف الشهود الأساسيين على الحدث التاريخي سواء كانوا مؤرخين أو رواة للذاكرة الشفوية. أما في عملية إعادة التشكيل فيت الاشتغال على الرواية أو الروايات المسجلة من خلال عملية إخراج يجعلها مرتبطة بالحياة اليومية لأفراد المجتمع، أي أنها تجسد أثر الرواية على التجربة المعيشة الحية. إن العمليتين السابقتين يقوم بهما المؤرخ من خلال إعادة اشتغاله على مختلف الوثائق التي تتوفر لديه والمتعلقة بأحداث الماضي موظفًا تقنيات الكتابة السردية التاريخية وفق حبكة مفكر فيها قبليًا لضبط العالم المروي بشكل يسمح بتوجيه المعيش اليومي للناس.

وقد انطلق بيير نورا من نموذج الثورة الفرنسية للحديث عن علاقة الذاكرة والتاريخ في قوله " أن كتابة تاريخ الثورة الفرنسية يقتضي إعادة تكوين أساطيرها وتفسيراتها، وهو ما يعني أننا لم نتعرف بشكل كامل على إرثها... مساءلة عادة أو تقليد مهما بدت لنا غير ذات أهمية لابد من البحث عن قائلها ومعرفته... كما أن تاريخ التاريخ لا يتكون فقط من الأشياء التي نعتبرها مقدسة، بل يجب أن نسائل الوسائل المادية والمفاهيمية والمساطير التي أنتجته والبنيات الاجتماعية التي تتداوله."[٩] إن هذه الإشارة التي نبه إليها بيير نورا في هذا النص تدفعنا إلى الانتباه إلى أهمية الذاكرة الشفهية حول حدثي المطالبة بالاستقلال وذكرى المسيرة الخضراء، وهو الأمر الذي اشتغلت عليه المندوبية السامية للمقاومة من خلال مندوبياتها الجهوية والإقليمية بكل جات المغرب من خلال تسجيل وتدوين شهادات الأشخاص الذين ساهموا في الحدثين. لم نستطع الاطلاع على أرشيفات هذه المندوبيات حول ما تم تسجيله حول الحدثين، لكن العملية الأهم في نظرنا تتمثل في ضرورة اشتغال الباحثين على هذه الذاكرة المسجلة لتوثيقها ودراستها.

لا يمكن القول إن المؤرخ وحده هو من يشتغل على المروي ويسعى إلى بناء وإعادة بناء الذاكرة، بل يشتغل قبله العديد من المتدخلين الذين يمثلون مؤسسات اجتماعية أو ثقافية أو سياسية. ويبرز بيير نورا أثر التحولات التي تعرفها المجتمعات الحديثة والتي تؤثر بشكل مباشر على التاريخ-الذاكرة والتي تتمظهر في التغيرات الجديد على مستوى المؤسسات التي تسهر على نقل القيم بالمجتمع (المدرسة، الكنيسة، الأسرة، الدولة...). كما يؤكد على الدور الذي تلعبه هذه المؤسسات في الانتقال من الماضي للحاضر والتحضير للمستقبل مؤكدا أن الذاكرة بالمعنى الحقيقي توجد لدى المؤسسات البدائية التي تحفظ النموذج الأول للذاكرة الذي يمتلك الآليات الضرورية لاشتغال الذاكرة بشكل طبيعي. وبناء على ضرورة ولوج المجتمعات للحداثة بكل مستوياتها بات من الضروري تنظيم الذاكرة وبناؤها تجنبًا للنسيان من خلال الاعتماد على الأدوار المنوطة بمؤسسات نقل القيم التي سبق الحديث عنها، وعملاً بتكييف ما سبق على الخصوصية المغربية نقترح اشتغال المؤسسات الآتية على الذاكرة فيما يخص موضوعي هذه المداخلة (ذكرى المطالبة بالاستقلال وذكرى المسيرة الخضراء).

لقد اعتمدنا في هذه الدراسة على دراسة وتحليل مضامين بعض الوثائق الخاصة بمناهج المدرسة والجامعة المغربية من خلال تتبعنا للوثائق المرجعية للمنهاج التربوي المغربي والكتب المدرسية لمادة الاجتماعيات بمختلف الأسلاك التعليمية المغربية (السلك الابتدائي- السنوات الرابعة والخامسة والسادسة- والسلك الثانوي الإعدادي والتأهيلي). عملنا من خلال عملية التتبع هذه على جرد الدروس التي ترتبط بشكل مباشر أو غير مباشر بعملية التعريف والتحسيس بالحدثين كمساهمة من المنهاج في بناء الهوية المغربية في ارتباطها بهذين الحدثين المؤسسين. اشتغلنا بعد ذلك على وثيقة الأساسية التي تجسد منهاج الجامعة المغربية والتي تتعلق بالملف الوصفي للشعب، وقد انطلقنا من الملف الوصفي لشعبة التاريخ والحضارة بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال للوقوف على المحاور التي تتعلق بنفس الحدثين في هذا الملف الوصفي. تطرقنا بعد ذلك إلى بعض المؤسسات التي تشتغل على حفظ وصيانة الذاكرة على المستوى الاستراتيجي من خلال عملها على جمع الوثائق والأرشيفات الوطنية والجهوية لتمكين الباحثين من الاشتغال عليها، وقد اقتصرنا على تجربتنا البحثية بهذه المؤسسات للتعريف بدورها البارز في هذا الصدد.

١/٣-المدرسة

تُعَدّ المدرسة آلية مهمة لصناعة الهوية ونقل قيم ومبادئ المجتمع للأجيال الجديدة داخل أي تجمع بشري كما عبر عن ذلك السوسيولوجي الفرنسي بيير بورديو في كتاباته حول الموضوع[١٠] نظرًا لما تلعبه المدرسة والمدرس في نقل المعارف وتبسيطها للناشئة بشكل تدريجي. وقد انطلق المنهاج التربوي المغربي من الوعي بهذه المسألة ليعتبر مدخل القيم أساسيًا في تصريف مواد المنهاج وكانت الأحداث الوطنية بما فيها حدثي (المطالبة بالاستقلال والمسيرة الخضراء) حاضرة في هندسة وتصور هذا المنهاج.

بناء الهوية الوطنية

من خلال توجهات المنهاج التربوي المغربي

تناول المنهاج التربوي المغربي مسألة بناء الهوية المغربية من خلال تعزيز القيم الوطنية بشكل عام والتي يندرج ضمنها الاعتزاز بالقيم الوطنية بما فيها الاعتزاز بما قدمه الأسلاف من تضحيات من أجل الحصول على الاستقلال من جهة ومن أجل تحرير أقاليمنا الجنوبية من جهة أخرى. وقد تناول المنهاج هذا الموضوع ضمن محور الاختيارات والتوجهات الوطنية في مجال التربية والتكوين وفي إطار الغايات الكبرى لنظام التربية والتكوين.

ففي إطار الاختيارات الاستراتيجية للمنهاج، حددت وثيقة المنهاج هذه الاختيارات في: "الحفاظ على الثوابت الدستورية للبلاد المتمثلة في الدين الإسلامي والوحدة الوطنية متعددة الروافد والملكية الدستورية والاختيار الديمقراطي. الهوية الوطنية الموحدة بانصهار مكوناتها المتعددة العربية-الإسلامية، والأمازيغية، والصحراوية الحسانية والغنية بروافدها الأفريقية والأندلسية والعبرية والمتوسطية والمبنية على تعزيز الانتماء إلى الوطن وعلى قيم الانفتاح والاعتدال والتسامح والحوار والتفاهم المتبادل بين الثقافات والحضارات الإنسانية".[١١]

مادة الاجتماعيات بالسلك الابتدائي: تتضمن مادة الاجتماعيات بالسلك الابتدائي ثلاث مكونات أساسية تتمثل في التربية على المواطنة والتاريخ والجغرافية، وفيما يأتي أهم العناوين التي تضمنت إشارات إلى الحدثين في الكتاب المدرسي للاجتماعيات. وقد اعتمدنا في استخراج الدروس المتضمنة للإشارات حول الحدثين في مقررات السلك الابتدائي على بعض المراجع المشار إليها في هذا الهامش[١٢].

المستوى الرابع

مكون التربية على المواطنة: درس مكونات هويتنا: تضمن حديثا عن تعدد مكونات الهوية المغربية اعتمادا على مقتطفات من الدستور المغربي. وقد تمت الإشارة بوضوح إلى المكون الصحراوي الحساني كجزء من الهوية المغربية.[١٣]

المستوى الخامس

مكون الجغرافيا

درس مميزات وطني: الخريطة، الحدود والمدن[١٤]

درس مميزات وطني: الجبال والهضاب والسهول[١٥]

درس مميزات وطني: رسم خريطة[١٦]

درس مميزات وطني: الأنهار والسدود قدم خلاله وادي الساقية الحمراء كجزء من الوطن.[١٧]

درس السكان في وطني: التوزع والبيئة[١٨]

درس مشاكل بيئية في وطني: التصحر والتلوث ومشكل الماء.[١٩]

المستوى السادس

مكون التاريخ

درس المغرب في القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين: مبادرات إصلاحية ومواجهة الاستعمار[٢٠]

درس المغرب: تحقيق الاستقلال واستكمال الوحدة الترابية[٢١]

مكون الجغرافيا

درس موقع وطني من النطاقات المناخية العالمية الكبرى.[٢٢]

درس موقع وطني من النطاقات الزمنية.[٢٣]

درس المميزات الطبيعية لوطني: السهول والأحواض المائية[٢٤]

درس مميزات وطني: الموانئ والثروة السمكية.[٢٥]

درس مميزات وطني: تنوع السكان.[٢٦]

حضور الحدثين ببرنامج الاجتماعيات بالسلك الثانوي الإعدادي والتأهيلي

السنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي

مكون الجغرافيا: تمت هيكلة برنامج الثانوي الإعدادي باعتماد مدخل المحاور على أساس محورين لكل سنة دراسية. وقد اقتصرنا في هذه الدراسة على نموذج السنة الثانية من الثانوي الإعدادي[٢٧]. وإذا كان برنامج مادة التاريخ لم يتناول أي من الحدثين فإن محور الجغرافية قد تضمن إشارات حول انتماء الصحراء المغربية للمجال المغربي في الدروس الآتية:

- ماذا توفر لنا الطبيعة: موقع استراتيجي[٢٨]
- ماذا توفر لنا الطبيعة: تضاريس وموارد سطحية متنوعة[٢٩]
- ماذا توفر لنا الطبيعة: موارد باطنية مختلفة[٣٠]
- ماذا توفر لنا الطبيعة: مناخ متنوع الخصائص[٣١]

كما تقدم مادة التربية على المواطنة معطيات إضافية:

درس مقومات الدولة المغربية: المقوم الترابي، المقوم البشري (الأمازيغ، بنو هلال، بنو معقل، الأندلسيون، وفود من أفريقيا الاستوائية...)[٣٢]

حضور الحدثين ببرنامج الثانوي التأهيلي: اعتمدنا في هذا المحور على مجموعة من المراجع المدرسية من أجل الاطلاع على مضامين المقررة بمستويات الثانوي التأهيلي[٣٣]

الجذوع المشتركة للثانوي التأهيلي: يلاحظ الغياب التام للموضوعين في برنامج التاريخ جدع الآداب والعلوم الإنسانية.

السنة الأولى بكالوريا: كما يشار إلى حضور الموضوعين في برنامج السنة الأولى ثانوي تأهيلي في الدروس الآتية:

- الظاهرة الإمبريالية في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين.[٣٤]
- الاستغلال الإمبريالي للمستعمرات وانعكاساته الاقتصادية والاجتماعية (جنوب أفريقيا نموذجًا)[٣٥]
- التنافس الاستعماري والسير نحو الحرب العالمية الأولى[٣٦]
- التغلغل الاستعماري في المغرب منذ ١٨٣٠م إلى نهاية القرن ١٩م الآليات ومظاهر التغلغل[٣٧]
- محاولات الإصلاح في المغرب: مجالات الإصلاح ومحدوديتها.[٣٨]
- المغرب في مطلع القرن ٢٠: الأوضاع الداخلية وفرض الحماية.[٣٩]

السنة الثانية بكالوريا: خصص برنامج السنة الثانية بكالوريا عدة دروس تتناول الموضوعين:

- المغرب تحت الحماية.[٤٠]
- المغرب: الاستغلال الاستعماري في عهد الحماية.[٤١]
- تصفية الاستعمار وبروز العالم الثالث.[٤٢]
- المغرب: الكفاح من أجل الاستقلال واستكمال الوحدة الترابية.[٤٣]

إحياء ذكرى الحدثين بالمؤسسات المدرسية: كما تلعب الحملات التحسيسية التي تنظمها المؤسسات التعليمية الابتدائية والإعدادية والثانوية دورًا مهمًا في تثبيت وترسيخ هذه القيام نظرًا لما تقدمه من أنشطة متنوعة من مسرح وأناشيد ولعب للأدوار.

٢/٣-الجامعة

حضور الحدثين ببرنامج الجامعة المغربية

(نموذج شعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية ببني ملال):

إذا كان برنامج مادة الاجتماعيات بكلا السلكين الابتدائي والثانوي قد ركز على التحسيس وتثبيت المعارف حول الحدثين لدى التلاميذ والناشئة على العموم فإن الملف الوصفي لمادة التاريخ بالجامعة المغربية يستهدف تكوين معرفة متخصصة وتعميق الوعي لدى الطالب حول الحدثين التاريخيين. لذلك نجد أن الحدثين يحضران فقط ضمن برنامج وحدتين أساسيتين هما الوحدة ٣٠ بعنوان "الاستعمار وحركات التحرر في أفريقيا" التي لامس مضامينها حالة المغرب بشكل مباشر، لكنها تبرز السياق العام لظهور حركات مجتمعية تحررية بمختلف الدول الأفريقية من أجل مقاومة حالة الاستعمار التي تعرفها هذه المجتمعات. وقد حددت أهداف هذه الوحدة في:

- اكتساب الطالب للمعرفة التاريخية من خلال اطلاعه على الظروف المحلية والدولية التي ساعدت على تصفية الاستعمار وكذا خصوصيات بعض الحركات التحررية وأساليب مقاومتها للمستعمر وبعض النماذج منها.
- المساهمة في خلق وعي ثقافي لدى الطالب بخصوص تاريخ الاستعمار والحركات التحررية بأفريقيا والتطورات التي عرفتها من خلال جعله يقدر التضحيات التي بذلتها هذه الحركات من أجل الاستقلال.

ومن المعلوم أن الحركة الوطنية المغربية تتقاسم مع هذه الحركات مجموعة من المبادئ التي قامت عليها مثل:

- قيام الحركات التحررية بمختلف الدول المستعمرة.
- التضامن بين الشعوب.
- اتباع النضال السياسي قبل الحرب العالمية الثانية والكفاح المسلح بعدها.
- أنها حركات تحررية شاركت فيها جميع الفئات من المجتمع.[٤٤]

كما أن الوحدة رقم ٣١ بعنوان" الاستعمار والمقاومة بالمغرب" تناولت بشكل مباشر موضوع الحدتين وقدمت للطالب المغربي معطيات تاريخية دقيقة تستهدف تكوينه الرصين حول تاريخ المغرب خلال فترة الاستعمار. وقد حددت أهداف هذه الوحدة في:

- إبراز أسباب وظروف استعمار المغرب من قبل الفرنسيين والإسبان وإلى إظهار مدى حجم المقاومة المغربية وتصديها لجيوش الاحتلال.
- القدرة على فهم السياق التاريخي لاستعمار المغرب والظرفية الحرجة التي عانى منها المغاربة خلال هذه المرحلة الدقيقة.
- الوقوف على التضحيات الجسيمة التي قدمها الشعب المغربي دفاعا عن أرضه ومقدساته.

وقد قدمت المحاور المقترحة لهذه الوحدة تغطية شاملة لمختلف حيثيات الحدثين كما يلي:

- التدخل الأجنبي والمقاومة المسلحة المغربية في بداية القرن ٢٠.
- المقاومة المغربية من عقد الحماية ١٩١٢ إلى ١٩٣٦.
- بعض ملامح السياسة الاستعمارية الفرنسية والإسبانية.
- النضال السياسي والمسلح للحركة الوطنية المغربية.
- رجوع الملك محمد الخامس من المنفى وحصول المغرب على الاستقلال.[٤٥]

كما تساهم الجامعة المغربية في عملية التعريف بالحدثين من خلال الأعمال والندوات العلمية المتخصصة في الموضوع والتي يستدعى إليها متخصصون في الموضوع. تعمل الندوات العلمية على مقاربة المواضيع من مختلف الجوانب كما تعمل على طبع ونشر أعمالها ليطلع عليها القارئ المتخصص.

٣/٣-مؤسسات حفظ الذاكرة

تراهن المجتمعات على الحفاظ على ذاكرتها على المدى المتوسط والبعيد نظرا لما تلعبه الذاكرة من حفظ للهوية الجماعة للدولة والمجتمع. وقد عمل المغرب على الاشتغال على هذا الموضوع منذ العصر الوسيط على الأقل من خلال عملية الكتابة التاريخية والمكتبات العامة والخاصة أيضًا. وقد تعززت هذه العناية خلال القرن العشرين بإحداث المغرب لمجموعة من المؤسسات العامة التي تخصصت في هذا الموضوع، نخص بالذكر كل من مديرية الوثائق الملكية والخزانة الملكية بالقصر الملكي ومؤسسة أرشيف المغرب.

مديرية الوثائق الملكية بالرباط

لقد تمكنت مديرية الوثائق الملكية المغربية التي يوجد مقرها بجوار صومعة حسان بالرباط من جمع رصيد وثائقي مهم من الوثائق المخزنية التي تم تبادلها بين مختلف رجال المخزن خلال القرون الثلاثة الماضية على الأقل. كما اشتغلت على تنظيم هذه الوثائق وفق منهج يعتمد الكرونولوجية الزمنية أحيانا ووحدة الموضوع أحيانا أخرى. وقد عملت المديرية على تحقيق هذه الوثائق وتخريجها وطبعها لتصبح قابلة للتداول بين الباحثين. كما تعمل على صيانة الوثائق المهددة من خلال حمايتها في علب محصنة ومراقبة استعمالها حتى لا تضيع فيضيع معها جزء من تاريخ وهوية الذات المغربية.

الخزانة الملكية بالرباط

لقد عملت المؤسسة على جمع تراث هام من الوثائق والمخطوطات من مختلف التخصصات مثل الفقه والتصوف والأصول والفلك والتاريخ ... كما عملت المؤسسة على جمع وتصنيف الوثائق والكنانيش المخزنية. وعملت على فتح أبوابها للباحثين للاطلاع على هذه الوثائق وعلى تمكينهم منها قصد الاشتغال على تحقيقها أو تصنيفها بتنسيق مع الجامعات المغربية حيث تشترط الحصول على موافقة وتزكية أستاذ بإحدى الجامعات لتمكين الطالب الباحث من الاشتغال على إحدى المخطوطات لتحقيقها. كما حصرت عملية

الاطلاع على الطلبة والباحثين المتخصصين حفظا لهذه الوثائق وصيانة لها. كما أنها تعمل على الحفظ الرقمي لهذه الوثائق تحسبا لتلاشيها في المستقبل.

مؤسسة أرشيف المغرب

تعمل مؤسسة أرشيف المغرب منذ إحداثها على جمع وتوثيق وتصنيف مختلف أصناف الوثائق الخاصة بمرحلة الحماية الفرنسية والإسبانية للمغرب. تتوفر المؤسسة على رصيد مهم من الوثائق الخاصة بالمرحلة الاستعمارية من تقارير البعثات العلمية وتقارير ضباط الشؤون الأهلية ومراسلات بين هؤلاء ومختلف الشخصيات والأعيان المحليين. غير أن الوثائق المتضمنة بهذه المؤسسة تحتاج إلى تصنيف يسهل معه الوصول الى المطلوب. كما تحتاج إلى عملية رقمنها لتجنب إتلافها.

إن اشتغال هذه المؤسسات على موضوع الذاكرة هو عمل تاريخي ومساهمة في الكتابة التاريخية باعتبار أن التاريخ هو "إعادة بناء دائمة وغير مكتملة لما لم يعدّ موجوداً من جهة... وباعتبار الذاكرة هي ظاهرة معاصرة دائما ورابط معاش لحاضر خالد."[٤٦] فعملية التأريخ والكتابة التاريخية تبدأ بوجود الوثيقة التاريخية بمختلف أنواعها نظرا لأهميتها كأرضية للكتابة التاريخية.

خَاتِمَةٌ

لقد أبرزنا من خلال هذه المقالة أهمية الذاكرة الوطنية في التعبئة المجتمعية لمواجهة تحديات الماضي والحاضر والمستقبل من خلال إبرازنا لدور حدثي المطالبة بالاستقلال والمسيرة الخضراء في تعبئة وتوحيد جهود مختلف مكونات المجتمع المغربي وروافده الثقافية المتنوعة في مواجهة تحديات الاستعمار الفرنسي والإسباني للأراضي المغربي. وقد لعب وعي النخبة المغربية وتنسيقها مع العرش العلوي دوراً أساسيًا في تأطير الشعب المغربي وتوحيد جهوده لطرد المستعمرين. فإذا كان واقع الاستعمار حتمية تاريخية فرضته السياقات الإقليمية والدولية خلال النصف الأول من القرن العشرين، فإن تجربة وخبرة مختلف مكونات الدولة المغربية قد تعاملت بنوع من الدبلوماسية مع هذا الاستعمار واستطاعت التخلص منه في زمن قصير مقارنة بدول أخرى. ولعل هذا العمق التاريخي الذي تشكل لدى المغاربة قبل الاستعمار هو الذي ساهم بشكل كبير في الرغبة الملحة لدى النخبة المغربية في التخلص من الاستعمار.

أن هذا الرصيد التاريخي للذات المغربي في حاجة إلى تثمين وتقدير لدى الأجيال وهو الأمر الذي يجعل من اشتغال مؤسسات حفظ وبناء الذاكرة الوطنية مثل المدرسة والجامعة ومؤسسات حفظ الأرشيف ضرورة ملحة لضمان نقل قيم الهوية الوطنية لمختلف أجيال المجتمع المغربي على المدى المتوسط والبعيد. وقد أبرزت هذه المقالة حضور الحدثين السالفين الذكر بالمنهاج التربوي المغربي خلال مختلف الأسلاك التعليمية مما يتيح تحقيق الأهداف السابقة.

التوصيات

نقترح في ختام هذه المقالة التوصيات الآتية من أجل تكوين ذاكرة وطنية قوية:

- اعتبار إحياء الذاكرة الوطنية واجبًا تجاه الأجيال المقبلة، ومن ثمة ضرورة المساهمة في التعريف بهذه القضايا الوطنية المؤسسة للهوية المغربية.
- اعتبار الاحتفاء بأحداث الذاكرة واجب النخبة العلمية، فلابد للجامعة المغربية من المساهمة في تعريف الأجيال بأحداث الذاكرة واستخلاص الدروس والعبر منها، سواء على مستوى المنهاج التربوي المدرسي أو الجامعي.
- ضرورة اعتبار الصحراء المغربية قضية المغاربة جميعًا منذ السبعينيات من القرن الماضي، بل منذ العصر الوسيط، فلا مجال لوضعها على طاولة النقاش مع أي طرف.
- أن المسيرة الخضراء هي بداية لمسيرة تنموية ظهرت نتائجها اليوم من خلال ما تعرفه الصحراء المغربية من بنية تحتية ستساهم في نهضة اقتصادية للمغرب مستقبلاً.

الإحالات المرجعية:

(١) بول ريكور، الذاكرة، **التاريخ، النسيان**، ترجمة جورج زيناتي، دار الكتاب الجديدة المتحدة، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩. ص٢٨.

(٢) بول ريكور، نفسه ص ٢٩

(٣) بول ريكور، نفسه ص ٢٢

(٤) بول ريكور، نفسه، ص ٣٤

(5) Pierre Nora, entre mémoire et histoire, la problématique des lieux, p 27

(٦) بول ريكور، نفسه ص ٣٤

(٧) بول ريكور، نفسه، ص ٣٥

(٨) بول ريكور، نفسه، ص ٣٤

(9) Pierre Nora, op cit, p21

(١٠) يمكن الرجوع بشكل خاص إلى:

Pierre Bourdieu, les héritiers

Pierre Bourdieu, la reproduction

(١١) وزارة التربية الوطنية، **مديرية المناهج، المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي**، الصيغة النهائية، يوليوز ٢٠٢١، ص ٢٢

(١٢) **المسار الاجتماعيات** تاريخ وجغرافيا وتربية مدنية، مجموعة من المؤلفين، السنة السادسة من التعليم الابتدائي، نادية للنشر، طبعة شتنبر ٢٠٢٠. في **رحاب الاجتماعيات**، مجموعة من المؤلفين، السنة الرابعة من التعليم الابتدائي، مكتبة السلام الجديدة والدار العالمية للكتاب، دون سنة طبع. وزارة التربية الوطنية، مديرية المناهج، المنهاج الدراسي للتعليم الابتدائي، الصيغة النهائية، يوليوز ٢٠٢١. **الجديد في الاجتماعيات**، مجموعة من المؤلفين، السنة الخامسة من التعليم الابتدائي، دار نشر المعرفة، طبعة ٢٠٢١.

(١٣) **في رحاب الاجتماعيات**، مجموعة من المؤلفين، السنة الخامسة من التعليم الابتدائي، دار نشر المعرفة، طبعة ٢٠٢١، ص ٥٦

(١٤) نفسه ص ٥٤

(١٥) نفسه ص ٥٧

(١٦) نفسه ص ٦١

(١٧) نفسه ص ٦٩

(١٨) نفسه ص ٨١

(١٩) نفسه ص ٨١

(٢٠) **الجديد في الاجتماعيات**، مجموعة من المؤلفين، السنة الخامسة من السلك الابتدائي، دار نشر المعرفة، طبعة ٢٠٢١، ص ٥٠

(٢١) نفسه، ص ٥٣

(٢٢) نفسه ص ٦١

(٢٣) نفسه ص ٧١

(٢٤) نفسه ص ٧٦

(٢٥) نفسه ص ٨٠

(٢٦) نفسه ص ٩٥

(٢٧) **منار الاجتماعيات**، مجموعة من المؤلفين، السنة الثانية من التعليم الثانوي الإعدادي، Top Edition، دون سنة الطبع

(٢٨) نفسه، ص ٧٢

(٢٩) نفسه ص ٧٥

(٣٠) نفسه، ص٧٩

(٣١) نفسه ص ٨٦

(٣٢) نفسه، ص ١٣٦

(٣٣) أهم هذه المراجع: **الجديد في التاريخ**، مجموعة من المؤلفين، السنة الثانية من سلك البكالوريا، شعب الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الشرعية واللغة العربية بالتعليم الأصيل، العلوم الاقتصادية وعلوم التدبير المحاسباتي والعلوم الزراعية، كتاب التلميذ، مطبعة النجاح الجديدة، طبعة ٢٠١٥.-**الجديد في التاريخ**، مجموعة من المؤلفين، السنة الأولى من سلك البكالوريا، مسلك الآداب والعلوم الإنسانية ومسلك اللغة العربية بالتعليم الأصيل، كتاب التلميذ، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦. -**في رحاب التاريخ**، مجموعة من المؤلفين، الجذوع المشتركة للتعليم الثانوي التأهيلي، جدع الآداب والعلوم الإنسانية، كتاب التلميذ، مكتبة السلام الجديدة والدار العالمية للكتاب، طبعة ٢٠١٨.

(٣٤) **الجديد في التاريخ**، مجموعة من المؤلفين، السنة الأولى من سلك الباكلوريا، مسلك الآداب والعلوم الإنسانية ومسلك اللغة العربية بالتعليم الأصيل، كتاب التلميذ، مطبعة النجاح الجديدة، الطبعة الأولى ٢٠٠٦، ص ٦٩

(٣٥) نفسه، ص ٨٠

(٣٦) نفسه، ص ٩١

(٣٧) نفسه، ص ١٧١

(٣٨) نفسه، ص ١٨٤

(٣٩) نفسه، ص ١٩٤

(٤٠) **الجديد في التاريخ**، مجموعة من المؤلفين، السنة الثانية من سلك البكالوريا، شعب الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الشرعية واللغة العربية بالتعليم الأصيل، كتاب التلميذ، مطبعة النجاح الجديدة، طبعة ٢٠١٥، ص ٦٩

(٤١) نفسه، ص ٨٢

(٤٢) نفسه، ص ١٣٣

(٤٣) نفسه، ص ١٦٨

(٤٤) الملف الوصفي لشعبة التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال الخاص بالوحدة رقم ٣٠.

(٤٥) الملف الوصفي للوحدة رقم ٣١ بشعبة التاريخ كلية الآداب والعلوم الإنسانية بني ملال.

(46) Pierre Nora, op cit, p 29